الاطار التالي: «منذ نشوء القومية العربية، قبل قرن من الزمن، تقريباً... وفلسطين جزء رئيس وأساسي من القضية العربية»[١]. وفي موضع آخر اضاف: «كان الصراع العربي، منذ نهاية الحرب الأولى حتى اليوم، من أجل الاستقلال والوحدة مربوطاً، دائماً، بالصراع من أجل حماية (ثمّ استعادة) فلسطين؛ وكان العمل من أجل حماية (ثمّ استعادة) فلسطين مربوطاً بالعمل من أجل تحقيق هدف الاستقلال والوحدة»[٢].

تدل أحداث بداية تبلور الحركة القومية العربية، منذ مطلع هذا القرن، على انخراط نشط لعرب فلسطين في هذه الاحداث، والتي اتجهت الى مقاومة السيطرة التركية، ورفع شعار الدولة العربية الواحدة. فقد شارك الفلسطينيون في تأسيس التنظيمات العربية القومية، السرية والعلنية، مثل حزب اللامركزية والمؤتمر القومي وغيرهما، وتمّ ذلك على أساس أن فلسطين لم تكن تمثّل وحدة سياسية مستقلة، وانما هي جزء من سوريا العربية الكبرى؛ بل ان الاعضاء الفلسطينيين انتموا الى هذه المنظمات القومية، باعتبارهم فلسطينيين وبحسبان انهم جزء لا يتجزأ من الأمة العربية[٣].

في هذا الاطار، اكتسبت القضية الفلسطينية خصوصيتها المتميزة داخل العمل القومي، لتتقاطع معه، ولتشكل علاقة جدلية صاغت تطور القضية في علاقتها بالحركة القومية العربية حتى اليوم. وقد كان ذلك من خلال مواجهة المخاطر الصهيونية وازدياد التدخل اليهودي الوافد من أوروبا الشرقية، والغربية، والضغوط البريطانية. ولقد دعم اتضاح المخططات البريطانية، والاوروبية، والصهيونية، مثلما وضح في تقرير رئيس الوزراء البريطاني من حزب الاحرار، كامبل بنرمان، في العام ١٩٠٧، والذي طالب بفصل الجزء الافريقي من المنطقة العربية عن جزئها الآسيوي باقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسد الرابط فيما بينهما ـ أي فلسطين ـ بحيث يشكل هذا الجسر قوة صديقة للاستعمار، وخصماً لسكان المنطقة[٤]. وقد دعم ذلك الأمر وعي الفلسطينيين بخصوصية قضيتهم، وبضرورة إبرازها بأقصى جهد ممكن، خاصة وان الحركة القومية العربية انهمكت، في ذلك الوقت، في مواجهة الحكم التركي.

غير ان الانتباه الفلسطيني الى مخاطر الصهيونية لم يكن يجرى بعيداً من المسار العام للحركة القومية العربية، وبعيداً من شبهات الاقليمية وفي إطار استمرار الانتماء القومي لسوريا الطبيعية، وانما كان الأمر بمثابة توجيه تحذيرات من احتمال وقوع نتائج غير مؤاتية من قبل الحركة القومية العربية، المنشغلة بالسيطرة التركية. ومن هنا، نجد ان صحيفة «الكرمل» أشارت الى هذا الأمر، فكتبت: «ليس لنا نصيب في طلاب الاصلاح وحزب اللامركزية ومؤتمر باريس... نحن أملنا [في] ان يدفعوا عنا خطر الصهيونية، لأننا فريق من العرب الذي يطلب لهم الاصلاح؛ وهذا الفريق يؤلف قوة لا يستهان بها، وطننا جزء لا يتجزأ من الوطن العربي ' العثماني ' »[٥].

عكست الرؤية الفلسطينية الى خصوصية القضية وعياً بأن هذه الخصوصية تنطلق من قومية القضية والنظر الى ان ابراز الوطنية الفلسطينية انما يخدم أهداف الكفاح القومي، على أساس ان نفي عروبة فلسطين، وبالتالي، ضياعها، من طريق اقامة دولة صهيونية، انما يعني تعويق قيام وحدة عربية، في ضوء ان موقع فلسطين الاستراتيجي بين مشرق الأمة العربية ومغربها، وبالنظر الى ما سوف يقوم من علاقات متينة بين الكيان الدخيل الناشىء وبين القوى الاستعمارية المعادية للوحدة والطامحة الى الهيمنة على مقدرات المنطقة. وهو ما عبّر عنه احد الزعماء الفلسطينيين في ذلك